وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف – المسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات النحو السداسي الثاني ليسانس أدب عربي2020 ـ 2021

المحاضرة الأولى
النحو العربي / النشأة والتقعيد

النحو العربي نشأته و مفاهيمه:

يطلق لفظ النحو لغة على معان عديدة منها:

القصد : يقال : نحوت نحوك ، أي قصدت قصدك .

ويطلق على الجانب أو الجهة : تقول: سرت نحو المسجد أي جهة المسجد .

ويطلق على المقدار تقول : له عندي نحو عشرة كتب، أي مقدارها .

ويطلق على المثل : تقول لقيت شخصا نحوك أي مثلك .

ويطلق على النوع أو القسم : ومنه قولهم : البلاغة ثلاثة أنحاء، أي ثلاثة أنواع .

ويطلق على البعض تقول: أكلت نحو سمكة أي بعض السمكة.

وقد سبق هذا المفهوم بمصطلحات منها الكلام والإعراب والعربية[1]، ولعل المصطلح الأول يتجلى في قصة أبي الأسود الدؤلي حينما فشا اللحن في العربية وسمع منهم ذلك فقال: **هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام فدخلوا فيه، فصاروا لنا إخوة فلو علمناهم الكلام**، أما مصطلح الإعراب فقد جاء في مقولة عمر بن الخطاب لما أمر أبا الأسود الدؤلي أن يعلم أهل البصرة فقال: **وليعلم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب**، وأما المصطلح الثالث وهو العربية، وقد ورد في مقولة ابن سلام الجمحي متحدثا عن أبي الأسود الدؤلي : **أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي**.

النحو اصطلاحا :

أما اصطلاحا فحده : علمٌ بأصولٍ يعرف بها أحوالُ الكلم إعرابا و بناءً ، ونود هنا أن نورد بعضا من تعريفات العلماء لعم النحو من أجل الإفادة .

---

1 أحمد جميل شامي النحو العربي قضاياه ومراحل تطوره، دار الحضارة للتوزيع والنشر ، 1997، ص 12

تعريف ابن السراج :يعرف ابن السراج (ت 316 ه) النحو في كتابه أصول النحو بقوله : النحو أريد أن ينحو المتكلم إذا استعمله كلام العرب، وهو علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب "[2]

تعريف ابن جني : يعرف ابن جني النحو بقوله "هو انتحاء سمتِ كلامِ العربِ في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير ،والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك،ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة ، فينطق بها و إن لم يكن منهم ، و إن شذ بعضهم عنها رد به إليها [3] والملاحظ أنه من خلال هذا التعريف يبدو ابن جني مميزا بين النحو الذي سماه الإعراب والذي يعنى بالكلمة داخل المنظومة الكلامية والتراكيب وبين الصرف الذي يعنى بالكلمة المفردة بعيدا عن التركيب من حيث التثنية والجمع والتصرف والمنع وصيغ التصغير والتحقير

تعريف ابن عصفور (ت 669 ه): علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي يأتلف منها .

تعريف ابن حيان (ت 745 ه): النحو علم بأحكام الكلمة إفرادا وتركيبا

تعريف الفاكهي (ت 971 ه): في كتابه الحدود النحوية بقوله: علم بأصول يعرف بها أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناء

أهمية علم النحو وقيمته :

للنحو أهمية كبيرة في حياة المرء خاصة إذا كان من المتعلمين[4]، وقد قال فيه أبو إسحاق النهرواني :

النحو يبسط من لسان الألكن والمرء تكرمه إذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلـها فأجلها منها مقيم الألسن

وقال آخر:

النحو صعب وطويل سلـــمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضـيض قدمه يريد أن يعربه فيعـــجمه

قال الشاعر [5]

يا حبذا النحو من مطلب تعالى به قد طلابـــــه

كأن العلوم له عســـكر وقوف خضوع على بابه

و قال آخر في أن النحو والعلم عموما إنما يؤخذ عن شيخ معلم

---

2 . ابن السراج أصول النحو ، ج 1 ، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ،بيروت لبنان 1985، ص 35

3 ابن جني الخصائص ج 1 ، تحقيق محمد علي النجار، ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، بيروت لبنان 2006، ص 35

4 أحمد جميل شامي النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، ص 12

[5] ابن خلدون ، المقدمة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، بيروت لبنان 2004. 545 .

من يأخذ العلم عن شيخ مشافهة يكن من الزيف والتصحيف في حرم

ومن يكن آخذا للعلم من صحف فعلمه عند أهل العـــــلم كالعدم

فهو كما قال الشاعر ذو قيمه جليلة، وتعلمه من الأمور الواجبة حتى يرفع المتكلم مقامه بين السامعين؛ ذلك أنه قد تخطيء المتحدث فينحرف المعنى انحرافا كبيرا عن المقصود ، يحكى أن رجلا سأل أعرابيا قال : كيف أهلِك (بكسر اللام) فقال الأعرابي صلبا، ومقصد الأول كيف أقاربك، لكن الجواب جاء على قدر ما كان السؤال فقد كان معناه بأية طريقة يكون هلاكي .

إن القارئ لكثير من الروايات التي وردت حول بداية الجهود العربية النحوية ليدرك أن النحو العربي فعلا إنما كان سببه الإعراب والمحافظة عليه، إذ تربط كثير من الروايات أن النشأة إنما كانت حينما اختلط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى، وكانت رغبة غير العرب أن يتعلموا العربية لأنها لغة دينهم، ومن غير الممكن أن يتعلموها بين عشية وضحاها، فكانت مرحلة انتشر فيها اللحن، وكان ذلك داعيا كبيرا للعلماء ليتحركوا وينتجوا علم النحو .

وإذا كان جَمْعُ القرآن يمثل الخطوة الأولى في سبيل العناية به، فإنَّ وَضْعَ علم النحو يمثل الخطوة الثانية في سبل المحافظة على سلامة أداء النص القرآني، بعد أن أخذ اللحن يشيع على ألسنة الناس، ولم يكن نزول الوحي قلبًا للجوانب العَقَدية في حياة الناس فحسب، بل كان أيضًا قلبًا للعادات اللغوية التي تربوا عليها، إذ واجه العرب في قراءة القرآن ظواهر منها تعدُّد اللهجات، واختلافها في القرب مِنْ لغة القرآن أو البعد عنها، ولهذه اللغة من قواعد النطق ما لا يسهل إتقانُه على جميع المتلقِّين يومئذ، ولابد لهم من المران حتى يألفوا النص الجديد.

وقد أجمع الذين تصدَّوا للحديث عن نشأة علوم العربية على أنَّ القرآن الكريم كان الدافع الرئيس لعلماء السلف لوَضْع علم النحو والإعراب؛ وذلك لأنَّ ظهور اللحن وتَفَشِّيه في الكلام، وزحفه إلى لسان مَنْ يتلو القرآن هو الباعث على تدوين اللغة، واستنباط قواعد النحو منها، وعلم العربية شأنه شأن كلِّ العلوم تتطلبه الحوادث والحاجات، وليس ثمة من علم يظهر فجأة من غير سابقةِ تفكير وتأمُّل في ما يتعلق به، وهذا قد يستدعي غموض نشأة بعض العلوم ومعرفة واضعها.

ويعود التفكير في علم النحو كما ذكرنا إلى ظاهرة شيوع اللحن والخشية على القرآن منها؛ وذلك لأنَّ رغبة العرب المسلمين في نشر دينهم إلى الأقوام المختلفة أنشأ أحوالاً جديدة في واقع اللغة، ما كان العربُ قد عهدوها من قبل، إذ كانت الفطرة اللغوية قبل الإسلام سليمةً صافية، واستمر الحال على هذا في عصر نزول القرآن،غير أن الرواة يذكرون أنَّ بوادر اللحن قد بدأت في الظهور في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ومن تلك الروايات أنَّه سمع رجلاً يلحن في كلامه فقال : أَرْشِدوا أخاكم فقد ضل، ويورد الدارسون بعض الروايات على تَسَرُّب اللحن إلى ألسنة الناس في عهد الخلفاء الراشدين،

وذلك أثر من آثار اختلاط العرب الفصحاء بغيرهم من الشعوب غير العربية، ممَّا أضعف السليقةَ اللغوية لديهم، وقد كان اللحن في شكلين :

لحن في الأصوات : وهو ما كان متعلقا بتغيير نطق حرف أو تغيير صفة من صفاته، ومن اللحن في الأصوات والأبنية والصيغ الذي تداولته كتب الأدب والتاريخ والنحو الأمثلة الآتية[6] :

1- النطق بالعين همزة نحو قول زياد النبطي لغلام له: منذ أن دأوتك ماذا كنت تصنأ ، وقولهم أربي بدل عربي [7].

2- النطق بالحاء هاء نحو قول فيل مولى زياد بن أبيه وقد رجع من البادية : أهدوا إلينا همار وهش

3- نطق القاف كافا نحو نطق أبي مسلم الخراساني إذ أنه كان قال: قلت يقول : كلت

4- نطق الظاء ضادا فقد كان لرجل بالبصرة جارية تسمى ظمياء، وكان إذا ناداها قال يا ضمياء وكان معه ابن المقفع مرة فنبهه فلما أكثر عليه قال له الرجل: دعني ؛ جاريتي أم جاريتك .

5- نطق الطاء تاء بدل طرق يقولون ترك[8]

غير أن هذا اللحن لم يكن يقلق العلماء لأنه لا يغير قاعدة ولا أصلا كما أنه كان في المسلمين قبل هذه الفترة مسلمون ينطقون العربية برطانة ومنهم سلمان وصهيب وبلال ولم يكن ذلك يقلق المسلمين العرب الأقحاح .

لحن في الأبنية :

وهو اللحن الذي حرك الأمة وعلماءها لأنه كان يتعلق بتغيير يمس المعنى، ومنه أنه دخل أعرابي المدينة وطلب إلى الناس أن يعلموه القرآن فانبرى أحد الناس يعلمه سورة براءة فقرأ الآية التي منها " أن الله بري من المشركين ورسوله " ، (بكسر اللام في رسوله) وفي ذلك انحراف كبير عن النطق السليم، وقد أورد الرواية ابن الانبارى في نزهة الألباء أنه لما قدم رجل أعرابي في خلافة عمر بن الخطاب فقال من يقرئني شيئا من القرآن فقرأ له أحدهم الآية السابقة بكسر كلمة رسوله، فقال الأعرابي : إن كان الله قد بريء من الرسول فانا أبرأ منه أيضا، فرفع الخبر إلى عمر، فدعاه عمر إليه وقال له : يا أعرابي أأنت قلت هذا ؟ قال : يا أمير المومنين أنا رجل لا علم لي بالدين، وقد أقرأنيها الناس كما فهمتها، فكيف هي يا أمير المومنين؟ قال: أن الله بريء من المشركين ورسوله (أي بضم اللام في رسوله)، فقال الأعرابي : أنا أيضا أبرأ ممن بريء الله منه وبرئ منه رسوله، فقال عمر : لا

---

6 ينظر الجاحظ ، البيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي الطبعة السابعة 1997 مصر ، ج 2 ص 219

7 أحمد جميل شامي النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، ص 18

8 أحمد جميل شامي النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، ص 18

يقرأ القران إلا عالم باللغة[9]، وقيل إن هذه القصة حدثت أيام علي، والروايات متعددة في ذلك، وقالوا كان أول لحن سمع بالبادية : هذه عصاتي، وأول لحن سمع بالعراق حيّ على الفلاح [10]

ومن اللحن أن أبا الأسود الدؤلي دخل بيته فقالت إحدى بناته : أبت ما أحسنُ السماءِ، قال نجومُها، قالت: لم أرد ذاك، ولكنني أعجبتني السماء، قال: فقولي : ما أحسنَ السماءَ ، وقيل إنها قالت له: ما أشدُ الحرِ، فقال : إذا كانت الرمضاء من تحتك والصقعاء من فوقك، ومما يذكر أيضا من اللحن أن عمر بن الخطاب وصله كتاب واليه أبي موسى الأشعري يقول فيه : من أبو موسى الأشعري إلى أمير المومنين عمر .... ، فأرسل إليه عمر أن يجلد كاتبه سوطا ويؤخر له في عطائه، وكان الكاتب يومها هو أبو الحسين ابن أبي الحر العنبري الذي استكتبه أبو موسى بعد زياد، وقيل إنه من اللحن أيضا أنه دخل رجل على زياد بن أبيه فقال: إن أبينا قد هلك، وإن أخينا غصبنا ميراثنا، فقال لهم زياد: ما ضيعتم من أمركم أكثر مما أُخِذَ منكم، ومنه أن رجلا دخل على الحسن يسأله بعض المال فقال: يا أبو سعيد... ، فقال له الحسن : أَكَسبُ الدوانيق شغلك عن أن تقول يا أبا سعيد[11]، ومنه أن أبا حنيفة النعمان بن ثابت – وكان لحانا – سئل ما تقول في رجل ضربه آخر بحجر فقتله أتقيده به قال: لا ، ولو ضربه بأبو قبيس ، و في كلامه كما ترى لحن كبير في قوله بأبو قبيس، إذ كان يجب أن يقول بأبي قبيس .

نفور العرب من اللحن :

وكان العرب شديدي العناية بالإعراب وكان حسهم به دقيقا يقظا، يعدونه الثقافة التامة، والأدب الرفيع، والخلق المهذب، قالوا : اللحن هجنة على الشريف، فقد كان أيوب السختياني يقول تعلموا النحو، فإنه جمال للوضيع وتركه هجنة للشريف[12]، ويروون عن عبد الملك بن مروان أنه قال : شيبني ارتقاء المنابر وخوف اللحن، وغلط الحسن في حرفين من القرآن مثل قوله : ص والقرآنُ ، والحرف الثاني وما تنزلت به الشياطون[13]، ويروون أن أبا الحسن سمع سابقا الأعمى يقرأ : الخالق الباريء المصوَّر فكان ابن جابان إذا لقيه يقول له يا سابق كيف حال الحرف الذي تشرك بالله

---

9 أحمد جميل شامي النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، ص 25

10 ينظر الجاحظ ، البيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي الطبعة السابعة 1997 مصر ، ج 2 ص 219، أحمد جميل شامي النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، ص 19

11 ينظر الجاحظ ، البيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي الطبعة السابعة 1997 مصر ، ج 2 ص 219 ، أحمد جميل شامي النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، ص 20

12 الجاحظ ، البيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي الطبعة السابعة 1997 مصر ، ج 2 ص 219 ، أحمد جميل شامي النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، ص 19

13 الجاحظ ، البيان والتبيين ج 2 ص 219

فيه، وقرأ ولا تَنكحوا المشركين حتى يومنوا، فقال ابن جابان وإن آمنوا أيضا لم ننكحهم[14]، ارتفع إلى زياد رجل وأخوه في الميراث، فقال: إن أبونا مات، وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله، فقال زياد الذي أضعت من لسانك أضر عليك مما أضعت من مالك[15]

ولهذا قال عمر رضي الله عنه : تعلموا النحو كما تعلمون السنن والفرائض، فكان العرب ينفرون من اللحن فهذا أبو بكر الصديق يقول: لأن أقرأ فاسقط أحب إلي من أقرا فألحن، وهذا عمر بن الخطاب يمر على قوم يرمون فيستقبح رميهم، فلما حدثهم في ذلك قالوا: إنما نحن قوم متعلمين (بنصب كلمة متعلمين وحقها أن تكون مرفوعة بالواو والنون) فقال لهم لحنكم أشد علي من سوء رميكم[16]، ومن اللحن أيضا أن أعرابيا سمع مناديا ينادي للصلاة ويقول : أشهد أن محمدا رسولَ الله ،فقال له الأعرابي ويحك يفعل ماذا ؟، ومنه أن أعرابيا دخل السوق فسمع الناس يلحنون فقال متعجبا سبحان الله يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح، ومنه أن الحسن البصري قيل له : إن لنا إماما يلحن ، قال : أميطوه ، والعرب أمة تمقت اللحن ولذلك قال قائلهم (بسيط):

وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق والخطب

وقد فخر السيد الحميري على خصومه فقال(طويل) :

وإني لساني مـــقول لا يخونني ... وإني لمـــا آتي من الأمر متقن

أحوك ولا أقوي ولست بلاحـن ... وكم قائل للشعر يقوي ويلـحن

ويمكن أن نضيف إلى هذه العوامل ما شاع في الوسط الاجتماعي الذي تعيش فيه الأمة الإسلامية، إذ كان فيه مجموعة من اللغات المتداولة إلى جانب العربية، منها الفارسية والسريانية، وهذا الوسط الاجتماعي سوف يشهد تزاوجًا طبيعيًا بين عناصره من اللغات المختلفة، ممَّا أدى إلى اتساع الفوارق بين اللغة الفصيحة واللغة المحكيَّة ومثل هذه الفوارق تُقلق أصحاب الغَيْرة على لغة القرآن، وبذلك ترتبط نشأة النحو بجذور الحياة الإسلامية في ذلك الزمن.

وثبة العرب لإيجاد النحو:

يقول الزبيدي عن الهبة العربية لإيجاد علم النحو فيقول : فكان أولَ مَنْ أصَّل ذلك، وأعمل فكره فيه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هُرْمز، فوضعوا للنحو أبوابًا وأصَّلوا له أصولًا، فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف، وكان لأبي الأسود في ذلك فضل السبق وشرف التقدم، ثم واصل ما أصَّلوه من ذلك التالون لهم والآخذون عنهم، فكان لكل واحد منهم مِن الفضل بحسبِ ما بَسَط من

---

[14] الجاحظ ، البيان والتبيين ج 2 ص 219

15 ينظر الجاحظ ، البيان والتبيين ج 2 ص 222

16 أحمد جميل شامي النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، ص 20

القول ومَدَّ من القياس وفَتَقَ من المعاني وأوضح من الدلائل، وبيَّن من العلل، ويقول الدكتور محمد خير الحلواني: ترجع قيمة أبي الأسود الدؤلي في تاريخ النحو إلى أنَّه هو أولُ مَنْ اتجه بالدراسة اللغوية إلى الاستقراء والاستنباط، وكانت قبله تقوم على محاكاة الأعراب والاختلاط بهم، وحِفْظ الشعر والأنساب، فتحوَّل بها إلى وضع الضوابط الدقيقة، ورَصْد الظواهر المتبدِّلة في تراكيب العربية، وقد تحدث ابن خلدون في "مقدمته عن فساد السليقة العربية ممَّا أدَّى إلى وقوع اللحن في القرآن، وشروع العلماء في حِفْظ اللسان، ولكنه لم يُحَدِّد مَن الذي بدأ هذه الجهود، يقول: مَّا فسدت مَلكة اللسان العربي في الحركات المسمَّاة عند أهل النحو بالإعراب، واستُنْبطت القوانين لحفظها... فاسْتُعْمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم، مَيْلاً مع هِجْنة المستعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية، فاحتيج إلى حِفْظ الموضوعات اللغوية بالكتابة والتدوين خشية الدروس والاندثار، وما ينشأ عن الجهل بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فَشَمَّر كثير من أئمة اللغة واللسان لذلك وأَمْلَوا فيه الدواوين .

وهكذا جَدَّ علماء العربية من السلف، واجتهدوا إلى أن أقاموا صرح علمٍ من العلوم الإسلامية التي لا يَسْتغني عنها أحد من طلبة العلم، وأصبحت العربية من الدين نفسه، وأصبح تعلمها لفهم مقاصد الكتاب والسنة قربة إلى الله، وعدَّ كثير من العلماء تعلُّمها واجبًا على المرء .

وقد نشأ النحو العربي بالعراق, وبخاصة في البصرة, وقد نبه العلماء إلى أقدميه البصرة في العناية باللغة العربية, يقول ابن سلام: وكان لأهل البصرة في اللغة العربية قدمة وبالنحو ولغات العربية عناية , وقال صاحب الفهرست (ت:358هـ):وإنما قدمت البصرة أولا ؛لأن علم اللغة عنهم أخذ

.